مقدمة

بدأت فكرة هذا الكتاب تتسرب إلى نفسى – بطريقة لا شعورية منذ عهد بعيد .

فى أكتوبر عام ١٩٣٢ وصلت إلى باريس ، وذهبت لصلاة الجمعة فى المسجد ، وما إن انتهت الصلاة ، حتى رأيت شخصاً تلوح على وجهه سمات الطيبة يتجه نحوى ، ثم يسألنى :

– هل أنت مصرى ؟

– نعم .

– هل تعرف محمود بك سالم ؟

– لم يسعدنى الحظ بذلك .

– هيا إذن لأعرفك به .

وذهبت معه وقابلت السيد « محمود سالم » وأحسست عند لقائه بالارتياح إليه والضيق به فى آن واحد : كانت نظراته كأنها انعكست انعكاساً تاماً فى داخل نفسه ، واستقرت على أفكاره ، فهى ترى الأفكار وحدها دون نظر إلى المخاطبين ، لم يكن حفياً فى تحيته ، لكنه قال بدون مقدمات ، وهو يمد يده بطريقة آلية : موعدنا الليلة فى المحطة الساعة الخامسة لنستقبل الأستاذ « خالد شلدريك » .

فأخذت أسائل نفسى : من هو «خالد شلدريك» ؟ ولِمَ نستقبله ؟ وهل من الضرورى أن أذهب لاستقباله ؟

تلك أسئلة دارت بخلدى ولم أجد لها جواباً ، وكادت تعوقنى عن الذهاب . ولكن حب الاستطلاع ، والشعور بالغربة الذى يدفع إلى حب التعرف بالآخرين ، دفعانى إلى الذهاب فى الموعد المحدد .

وجاء «خالد شلدريك» وكانت السيارات معدة ، فركبنا ، وكنا جمعاً غفيراً ، ولكنى لم أكن أدرى إلى أين نحن ذاهبون .

ووصلنا إلى قصر فخم ، ونزل الركب ، واستقبلتنا سيدة أنيقة فى صالون غاية فى الفخامة والأبهة .

لقد كانت – كما عرفت فيما بعد – أميرة سروالك ، إحدى مقاطعات الهند ، أميرة إنجليزية ، أسلمت وكتبت كتاباً عن سبب إسلامها ، نشرته على نطاق واسع . وفى هذا المجتمع الذى اختلفت الجنسيات فيه ، أدهشنى حقاً : أن أرى كثيرين فيه ، أسلموا بعد أن ولدوا على ديانات أخرى ، وهم الآن مجتمعون لتحية خالد شلدريك ، الذى أسلم وكرس حياته لنشر الإسلام .

وبعد أن تناولنا الشاى خرجنا من جديد إلى قاعة محاضرات فسيحة الأرجاء ، ألقت فيها الأميرة محاضرة عن الإسلام ، وكان عدد المستمعين كثيراً يتحدثون ويتناقشون ، وأدهشنى من جديد أن أرى كثرة الذين أسلموا حينما درسوا الإسلام .

أخذت منذ ذلك العهد ، أفكر فى العوامل التى جعلت هؤلاء يتخلون عن المسيحية ، والعوامل التى تدفعهم إلى اعتناق الإسلام على الخصوص ، وهل

هناك من وسيلة ناجعة لنشر الإسلام بين ربوع الغرب ؟

وصرفتنى الدراسة عن التفكير المستغرق فى هذا الموضوع ، ومضت السنون ، وكلما فكرت فى الأمر صرفتنى شواغل وأعمال أخرى .

إلى أن كانت سنة ١٩٤٨ ، وكنت مع أحد العلماء الأمريكان ، نطوف بأرجاء الأزهر . . معهدنا العتيق ، وبينما نحن على وشك الخروج ، علمت أن بعض الأعضاء من لجنة الفتوى موجودون فى مكان اجتماعها ، فحدثته بأمر لجنة الفتوى ، فرغب فى أن يلقى هؤلاء الأعضاء ، فدخلنا إلى القاعة ، فكان فيها المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم ، والمرحوم الشيخ العنانى ، وبعد التعارف والتحية خاطب العالم الأمريكى فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم قائلاً :

إن الغرب الآن فى حالة روحية مضطربة متأرجحة ، ومن الممكن أن يتجه إلى الإسلام ، ولكن من المحتمل أيضاً أن يتجه إلى صوفية الهند . فهل أعد الأزهر ، أو الهيئات الإسلامية برنامجاً لتوجيه الغرب نحو الإسلام ؟

وكان سؤالاً مربكاً ، ولكن فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم أجاب ، وفى أسلوب دبلوماسى لبق : إننا بصدد الدراسة والبحث .

وجعلنى سؤال العالم أعود من جديد إلى التفكير فى موضوع الغرب والإسلام .

وصرفتنى الشواغل من جديد إلى أن وقع فى يدى كتاب : «إيقاظ الغرب للإسلام» تأليف اللورد هيدلى ، وقرأت فيه :

«منذ عدة سنين خلت ، كان أحد أفكارى الرئيسية هو كيف يمكن للإسلام أن يتغرب «يصبح غربياً» ، حتى يمارس فى الأمم الأوربية ؟

وبعبارة أخرى كيف يمكننا نحن معشر الغربيين أن نعد أنفسنا لنكتب ونفقه معنى الإسلام الحقيق ، ثم تلا ذلك فكر آخر وهو كيف أننا لم نشك من جنسية المسيح الذى نعرف أنه كان آسيويًّا محضاً ؟ كانت أمه العذراء مريم آسيوية ، وكان موسى وكل الأنبياء الموحى إليهم شرقيين ، وكان النبى محمد شرقيًّا مثل الآخرين ، وأنزلت عليه الشريعة من الله .

فالقرآن من كلام الله ، عز وجل ، كما كان الإنجيل وباقى الكتب المنزلة الأخرى ، والقرآن يثبت ويحقق الكتب المقدسة الأخرى ، والوحى السابق » .

كيف يمكن للإسلام أن يتغرب على حد تعبير اللورد ، ذلك هو ما أردته ، وما أردت أن أثير التفكير فيه .

لقد كتب الكاتبون كثيراً فى علاقة الشرق بالغرب سياسيًّا ، وكتبوا فى علاقة الشرق بالغرب اقتصاديًّا ، ولكن التفكير فى صلة الشرق بالغرب ، دينياً ، واحتمال نشر الدعوة الإسلامية بين ربوع الغرب لم يسترع عناية الباحثين إلى الحد الذى يتناسب مع جلال الموضوع وخطره .

وهذه الصفحات التالية تهدف إلى أغراض منها :

أن يشعر المسلم بعزة وفخار لأنه مسلم ، وأن يعرف فى شىء من الوضوح أن الإسلام فى العهد الحاضر هو الدين الوحيد الذى يعد حقاً ديناً عالمياً .

وتهدف من قبل ذلك ومن بعد ذلك إلى تبيين واجب المسلم نحو هذا الدين ، سواء كان من ناحية تحقيقه نقياً صفياً فى نفسه ، أوكان من ناحية الدعوة إليه ونشره والله الموفق .

(رَبَّنا آتِنا مِن لدُنْكَ رَحْمَةً ، وهَيِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا رَشَداً) .